المعهد العالي للفنون المسرحية يحتفي بمسيرته الفنية الثرية

رفيق علي أحمد: زيارتي للمعهد العالي أعادت لي شغف العمل للمسرح وسأنجز عملاً مسرحياً

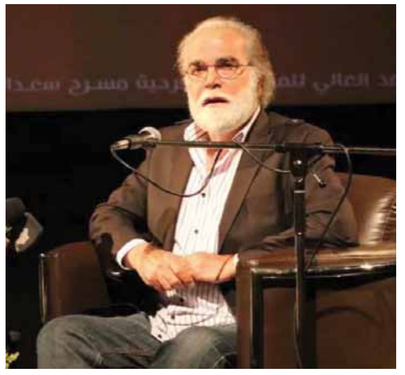

مصعب أيوب

زادته الأيام نضجاً وخبرة وصقلته السنون والتجارب حتى غدا من القلة التي تحفظ ما تبقى من المسرح وماء وجه التمثيل، ورغم بياض شعره إلا أن تقدمه بالعمر يزيده وسامةً ونضارة.

يؤمن أن الدراما موجودة في شتى نشاطات البشر ويهتم بقراءة ما بين السطور ويوظف كل إمكاناته في خدمة وهدف العمل، عرفه الجمهور السوري في مسلسل الزير سالم بشخصية كليب الملك الحازم المتسلط الذي لا يعرف الضحك، وتتالت مشاركاته في الدراما المشتركة ومؤخراً دوره في مسلسل الهيبة بشخصية ناظم.

سعاتان من الزمن كانتا كفيلتين ليتقل الفنان اللبناني رفيق علي أحمد لطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية أهم النقلات النوعية والمراحل المهمة في مسيرته الفنية، ليقدم خلالها رؤاه حول الفن والمسرح على خشبة مسرح سعد الله ونوس عند الساعة الرابعة من يوم الخميس ٢٧ نيسان الجاري، فجاء الملتقى ليبوح بما يدور في داخله ويستذكر مع الطلاب محطات فنية عدة.

قرار بالعودة للمسرح

افتتحت الزيارة بجولة على بعض القاعات التدريبية في المعهد وبعدها حضور بعض العروض التمثيلية لطلاب قسم التمثيل، ومن ثم كورال موسيقي وبعض الأغاني التراثية ومن ثم عرض راقص لطلاب قسم الرقص.

بداية الحوار انطلقت بعرض فيلم توثيقي تناول بعض الشخصيات التي قدمها رفيق في المسرح والتلفزيون خلال مسيرته الفنية، ومن ثم عرف الضيف الحضور بحكايته مع الفن منذ بداياته بالحديث الذي أداره الناقد سعد القاسم، مبيناً أن الملتقى حرك في داخله الشغف للمسرح وخلق لديه الحنين لأيام المسرح الجميلة، وأنه من الصعب الحديث ضمن وقت ضيق عن العمل المسرحي الذي قضاه خلال ٥٢ عاماً.

تحدث الضيف عن بداياته والعروض المسرحية التي قدمها داخل لبنان وخارجه وعن الصعوبات التي عاشها، ولاسيما أنه ينحدر من قرية بعيدة عن العاصمة من قضاء النبطية في جنوب لبنان ويعيش حياة ريفية بحتة يبتعد أهلها عن أي مظاهر فنية أو مسرحية، إضافة إلى غياب ونقص التمويل والدعم المادي ما أضطره في أحيان كثيرة ليكون هو المخرج والمؤلف والممثل وحتى مصمم الديكور، إضافة إلى غياب القاعات التدريسية الخاصة والمؤسسات الأكاديمية المعنية في هذا المجال وإلى غياب المراجع المختصة وصعوبة التنقلات والتواصل وغياب الإنتاجات المسرحية، وهو ما خلق لديه تحدياً كبيراً للوصول إلى شغفه وحلمه.

وقال أيضاً: أنا متشوق للقاء الطلاب والتجول داخل ممرات المعهد وقاعاته وسأقضي وقتاً ممتعاً في دمشق القديمة وأزقتها، وأنا شاركت ما يقرب عشرين عملاً تلفزيونياً سورياً، على حين مشاركاتي التلفزيونية اللبنانية تحصى على أصابع اليد الواحدة، وأضاف: أنا لا أعترف باتفاقية «سايكس بيكو»، فنحن شعب واحد ولدينا روابط بالروح والدم والوجدان بعيداً عن الشعارات السياسية التي لا أنقي لها بالاً، فأنا من جنوب لبنان ويجاورني سهل حوران وكذلك شمال فلسطين والقنون واحدة في بلاد الشام من الرقص والغناء والتمثيل والأزياء وتقاقتنا واحدة ونعيش في خليط مجتمعي واحد، وأنا عندما آتي إلى دمشق لا أشعر أنني قادم إلى بلد غريب إنما أعتبر نفسي أنتقل من مدينة إلى مدينة أخرى، في بلد واحد.

كما أشار إلى أن اللقاء اليوم ضمن المعهد العالي بحضور طلابه المتحمسين أوجد عنده دافعاً لإنجاز عمل مسرحي قريباً بعد أن كان قد انكفأ عن المسرح منذ قرابة سبع سنوات.

وأوضح أنه لا يجد غرابة فيما يخرّجه المعهد من مبدعين، لأن الطلاب وحماسهم وجدية عملهم لا بد أن تتوجم بأعمال مبهرة ومميزة، وأنه كمسرحي فخور بهذه المؤسسة العظيمة وبالقائمين عليها وبطريقة تدريسهم والنتائج واضحة للجميع بما نراه على الشاشات.

وأبدى إعجابه الشديد بالمعهد وبأقسامه والمستوى العالي للمعهد وتجهيزاته ومعداته وكفاءة كادره، مؤكداً أن الدراما السورية ربما خفّت قليلاً خلال سنوات الأزمة لكنها حافظت على وهجها ونجوميتها ومؤخراً استعادت موقعها لصدارة المشهد الفني.

بداياته التلفزيونية

أوضح أحمد أنه بقي معتكفاً للعمل المسرحي قرابة عشرين عاماً حتى بدأت الدراما التلفزيونية تتسع رقعتها ويزداد جمهورها، فبدأ بعض الزملاء التواصل معه للمشاركة في أعمال درامية للتلفزيون ومنهم سلوم حداد وأيمن زيدان وفايز قزق وكانت البداية بشخصية كليب في مسلسل الزير سالم، وبين أن أكثر ما جذبه للعمل هو النص الجيد المكتوب باللغة العربية الفصحى والبسيطة، وأشار إلى أن مشاركته هذه كشفت له جوانب كثيرة لم يكن يعلمها وأهمها أن العمل للدراما التلفزيونية مجد مادياً مقارنة بالعمل في المسرح، وربما يصفه البعض بالتحصيل السهل للأموال من خلال أداء دور تمثيلي، وتابع أنه بعد تحصيل بعض الأموال التي لا بأس بها من تصوير مسلسل ما كان يستثمر تلك الأموال بإنجاز عمل مسرحي كان من الصعب أن يجد له الممول المهتم، وختم أن الزير سالم وضعه على الشاشة العربية ولاسيما أنه حقق نجاحاً ساحقاً ومستمراً حتى اللحظة.

تخلل الملتقى أسئلة واستفسارات لبعض الطلاب أجاب عنها أحمد وضرب أمثلة عليها من خلال تجربته الخاصة، مقدماً بعض النصائح للطلاب والتي تعد دروساً عملية تسهم في تكوين شخصية الطلاب الفنية ولها عظيم الأثر في نفوسهم، كان منها أنه وجه كلامه لكل شخص يولد وفي قلبه الحب والشغف لمجال وفن التمثيل أن يسعى دائماً للأفضل ولا يتردد بأي شيء على الإطلاق، وأنه لابد أن يكون الممثل متمكناً من أدواته ولديه مرونة وليونة جسدية، وختم قائلاً: حافظوا على شعلة الشغف بداخلكم.

الشغف الحقيقي بالمسرح

عميد المعهد العالي للفنون المسرحية الدكتور تامر العربيد أكد أن الملتقى يعني الكثير للمعهد ولطلابه، مبيناً أن اللقاءات المستمرة التي ينظمها المعهد تضيف الكثير للطلاب وتركز على الأهمية المعرفية من خلال وجود قامات فنية في المعهد يتعلم الطلاب من تجاربهم ومسيرتهم ومخزونهم، وأشار إلى أن أحمد مسرحي بحت وصاحب مشروع فني وفكري.

وتابع: إن أحمد برع في مجالات فنية عدة لكن المسرح بقي شغفه الحقيقي وقدم على خشبته أعمالاً هائلة الجمال، وعبر عن آلام وهموم وطموحات أبناء جلدته.

كما أضاف أيضاً: إن خمسة عقود من العطاء والإبداع أمضاها أحمد في المسرح والفن لا بد لنا أن نسعى لتأكيد الوفاء له ولكل الأسماء والقامات التي أسست المسرح ومهدت الطريق أمام الجيل الجديد تاركةً لهم إرثاً عظيماً.

الحوار لقاء أكاديمي

من جانبه الناقد سعد القاسم قال: أنا من جيل محظوظ ممن كان لهم شرف حضور ومتابعة علامات فارقة في تاريخ المسرح، ومن أهمهم رفيق علي أحمد في ١٩٩١ خلال العرض الاستثنائي والمذهل الذي عرض على مسرح الحمراء تحت اسم الجرس وهو من أكثر العروض التي بقيت عالقة في أذهان أبناء جيلنا.

وبين أن وجود فنان كهذا في المعهد مهم جداً ويعد جزءاً من العملية الدراسية لأنه لقاء أكاديمي يخبر فيه الفنان عن تجربته الفنية الغنية فيما يتعلق بإعداد الممثل الناجح والعلاقة بين الممثل والجمهور.

وأردف: إن أحمد فنان مبدع بكل المقاييس وصاحب تجربة مسرحية رائدة، ومسيرته الفنية العريقة توجت بالعديد من المشاركات الدرامية والمسرحية التي أضاف لها الكثير بإبداعه وبراعته من خلال الغوص في شخصياته وكل ما يدور في خواجها.

مؤتمر صحفي

عن رأيه في الدراما المشتركة بيّن أحمد أن الجانب الجميل فيها أنها تفسح المجال أمام وجوه مختلفة من بلدان عدة لأن تلتقي وربما تخلق لديهم نوعاً من التلاحم الفني والثقافي، ما يسهم ذلك في إزالة الحواجز النفسية، وأفاد: إن طبيعة لبنان المركبة جعلته منفتحاً على الثقافات الغربية وهو شيء جميل، فممكن أن نجد كل أنواع المسرح في لبنان حيث لكل نوع جمهوره الخاص، وبين أن الممثل لا يستطيع أن يفرض شروطه في العمل التلفزيوني نظراً لكثرة القائمين على إنتاجه بدايةً من المخرج مروراً بالمنتج والمؤلف وغيرهم الكثير على عكس المسرح، كما نوه بأن العمل الذي تتوافر له العناصر الإنتاجية الكاملة لا بد أن يحقق النجاح المنشود، وأكد أن الطاقم الفني السوري متميز عربياً وقادر على إنجاز أعمال فنية خالدة نتيجة خبرته وتجربته الطويلة.

وأشار إلى أن مسلسل الزند عمل مكتمل العناصر من الصورة إلى الإضاءة والإخراج والفنانين الذين في مقدمتهم تيم حسن الذي استطاع عبر ٥ أجزاء من مسلسل الهيبة أن يبقى محافظاً على جمهوره، وظل ممسكاً بيده ليجعل الأنظار متجهة إليه وتنتظر خروجه للشاشة الصغيرة فهو فنان مجتهد ونشط.

وفي الختام قدم د. العربيد درع المعهد التقديري للضيف تكريماً له على مسيرته الفنية الثرية وإبداعه واحتفاء بمشروعه الرائد.

«جوليا آرت» يستضيف معرض الفنان التشكيلي سبهان آدم «رابونزيل»

عالم خيالي يسحرنا من خلال شخصيات يقدمها الفنان ويعالجها

مايا سلامي
تصوير طارق سعدوني

افتتح غاليري «جوليا آرت» مساء الخميس معرضاً فنياً لأعمال الفنان التشكيلي العالمي سبهان آدم.

وتضمن المعرض الذي حمل عنوان «رابونزيل» سبع لوحات جدارية عكست قضايا اجتماعية مختلفة صورت شخوصها بطريقة غرائبية تحمل الروح الساخرة التي صنع من خلالها الفنان سبهان بصمته الخاصة في المشهد التشكيلي العربي والعالمي، حيث استكمل في أعماله الجديدة مشروعه الفني المميز الذي تحدى خلاله قيم الجمال والقبح، متخذاً منهجه الخاص القائم على تصوير الواقع بكل فطرية وشفافية بعيداً عن المثالية والجمالية المصطنعة، فهو يرى أنه ليس بوسع الفن تجميل القبح الذي أحدثه العالم والذي يدوره أفقد لوحته براءتها حتى طغت الوحشية عليها في ظاهرها على الرغم من العواطف الكبيرة التي تحملها في خباياها.

أما الجديد الذي حملته أعمال سبهان في هذا المعرض فكان مرافقة قصة هزلية قصيرة مكتوبة إلى جانب كل لوحة تشرح حالة أبطالها بأسلوب فكاهي لا يخلو من السخرية والتمرد على بشاعة الواقع المحيط.

بصمة إضافية

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» أوضحت مديرة غاليري «جوليا آرت» حنان إبراهيم أن: «وجود معرض للفنان العالمي سبهان آدم شيء مهم بالنسبة لنا وبصمة إضافية لكل الفعاليات التي نقوم بها، وقد اختار الفنان هذه الصالة بالذات لكونها من الأماكن المحببة إليه».

وأشارت إلى أن تسمية المعرض «رابونزيل» جاءت من متلازمة تتف الشعر عند الرجال والنساء، منوهة بأنه تم بيع أعمال المعرض كاملة قبل افتتاحه بساعات فهذا الشيء مألوف في معارض الفنان سبهان التي دائماً ما تشهد إقبالاً كبيراً.

وقالت: «بالنتا في صالة «جوليا آرت» هي التميز ونحن نحاول دائماً تقديم شيء جديد فالفن التشكيلي السوري في حالة تنوع، لذلك تدعم صالتنا المواهب كافة بدءاً من الشباب والخريجين الجدد وصولاً إلى الأسماء الكبيرة كما هو الحال في معرض اليوم».

موضوعات مختلفة

وقال الناقد والصحفي بديع صنيج: «أنا متابع لأعمال ومعارض الفنان سبهان آدم السابقة، وهو معروف بهذه الغرائبية التي يعمل فيها خاصة من ناحية الشخوص، وعنوان المعرض أغرائي للقدوم اليوم فهو مأخوذ عن قصة لـ«الأخوين غريم»، لكن لم أستطع الربط بين العنوان والأعمال الموجودة حيث توقعت وجود رومانسية بشكل أكبر».

وأضاف: «على ما يبدو أن الفنان سبهان أراد النسج على المنوال نفسه الذي يتبعه مقدماً موضوعات مختلفة أضاف فيها الشراكات ضمن اللوحات على عكس أعماله السابقة التي كان يستحوذ عليها وجه شخص واحد فقط، لكن دائماً هناك سوداوية في أعماله تؤكد مقولته بأنه عالم مشوه لا يمكننا تصويره بعكس حقيقته».

طابع خاص

وأشار الفنان التشكيلي أسامة دياب إلى أن أعمال الفنان سبهان آدم لها خصوصيتها التي تميز عالمه الخيالي الذي يسحرنا فيه من خلال وجوه شخصياته التي هي عبارة عن مسوخ دأب سبهان على معالجتها بطريقته الخاصة بكل ما فيها من انفعال مرح وساخر.

وأكد أن أغلبية أعماله تمتلك هذا الطابع الخاص القريب من اللاواقع الذي لا يمت للحقيقة بشيء سوى أنه يذكر بروح معينة تلعب على امتداد مساحة اللوحة، فيقول الكثير من خلال شخوصه التي يكررها في أغلب الأحيان بطريقة ساخرة وطفولية إلى حد كبير. وقال: «الفنان سبهان يمتلك تكنيكاً خاصاً فيه قد لا يروق للكثيرين، ولكن أرى أن هذه الشخوص الغريبة فيها فكر إبداعي كبير وهذا الشيء الذي يجعل فنه مميزاً».

بروفايل

ولد الفنان التشكيلي السوري سبهان آدم عام ١٩٧٢ في مدينة الحسكة، ويعتبر واحداً من أبرز فنانيْ ما بعد الحداثة في العالم العربي.

تنقل بين الكثير من البلدان فقدم عشرات المعارض حول العالم، وهو أحد التشكيليين الذين نجحوا في توظيف الرؤية الحديثة فأنتجوا فناً مؤثراً أعادوا فيه صياغة الذهنية المعرفية والشمولية للتشكيل.

انطلق من بلده إلى العالم بعصامية بحتة فبدأ رحلته الفنية بعمله الدؤوب وبتعلمه الذاتي إلى أن وصلت أعماله إلى أعرق دور العرض العالمية ووضعت في أهم متاحف الفن الحديث، كما زينت أغلفة مجلات عالمية متخصصة بالتشكيل في اختراق قل نظيره بين الفنانيْن العرب، ودخلت أعماله أيضاً في مزادات مثل «كريستيز» في دبي و«سوذبيز» في لندن.

ويعد الفنان آدم اليوم مدرسة مستقلة لها طابعها الغرائبي، حيث تتشكل شخصياته اللونية بعنف دال على دواخل نفسية متمردة تجاوز فيها كل تقنيات المدارس الانطباعية والتصويرية التي تعجز أحياناً عن التعبير، فكانت تجربته الفنية الرائدة مصدر إلهام للكثيرين من أبناء جيله والأجيال اللاحقة من الفنانيْن الذين استوحوا من أعماله المتمردة الكثير، فكان منهم المقلدون والمريدون في مختلف أنحاء العالم.

عرض آدم أعماله في مؤسسات عديدة منها وفيزي غاليري في فلورنسا، ومعهد العالَم العربي في باريس، وبينالي البندقية. وأعماله مقتناة من المتحف البريطاني، ومجموعة جالاتيو الفنية، ومؤسسة بارجيل للفنون، والعديد من المجموعات الخاصة.

ويقول عن أعماله: إنها متأثرة حكماً بتجاربه وبأن «المعرفة تنبع من الحقيقة، وليس من التأثر بعمل شخص آخر». ويؤكد الفنان أن مخلوقاته البشرية مرتبطة «بالألم والخوف والهلع التي يعاني مجتمعنا منها بشكل مزمن، ويردف قائلاً: «أحب الناس وأحب الطبيعة، ولكن عندما يكون هناك ذلك الكمّ الكبير من الألم داخلك وحولك، يصبح من المستحيل رسم عصافير وأزهار».